



يرى عدد من أساتذة التربية وعلم نفس الطفل في جامعة لاسابينسا (المعرفة) في روما ان ثمة علاقة إيجابية بين ثقافة الطفل وقدرته على الإبداع، وأن تلك الثقافة لا تزيد في تكوين هويته وشخصيته فحسب، بل تتعداه الى جعله مبدعاً. ويوصي هؤلاء الاساتذة في آخر تقرير لهم نشرته مجلة "صحة" التي تصدرها صحيفة "لا ريبوبليكا" (الجمهورية) كملحق أسبوعي، بضرورة المتخلي نهائياً عن نظام مد الطفل بثقافة الذاكرة (الحفظ والتلقين) والاهتمام بمتابعة مواهبه وصقل الملكات الإبداعية لديه باعتبارها أساساً للتكوين المعرفي في حياته المستقبلية... "فالمعتماد على الممارسة العملية والميدانية، تتيح للأطفال القدرة على المنسج من خيالهم، ذلك لان الطفل يمتلك موهبة الخلق والتعبير وعلى العائلة والمدرسة دعم وتشجيع مهاراته من دون قهر او إجبار".

ويوصي التربويون المايطياليون ايضاً بالابتعاد عن تأنيب الأطفال ولومهم على إبداعاتهم الخاطئة، وبدعم تعرضهم للحماية المبالغ فيها، او الإسراف في التدليل، والتعامل مع أسئلة وخيال الأطفال باحترام، وإظهار الاهتمام المباشر بما يقدمونه ويطرحونه ويتساءلون حوله، لأجل تنمية إحساسهم بالتذوق الجمالي من خلال توجيه انتباههم الى كل ما هو رائع ومنسق ومنظم داخل البيت او في دار الحضانة والمدرسة والشارع او في موقع اللعب والطبيعة".

وتقول البرفسورة المرربية أنا جوزيبينا ماتيوولي من معهد الدراسات التربوية في جامعة لاسابينسا في روما حول ظاهرتي التسلط والإبداع في حياة الطفل: "من الأهمية بمكان معرفة مفاعيل التسلط على مختلف مستوياته، فهو يطفئ الرغبة التي تتعاظم يوماً بعد آخر في التعبير عند الأطفال، بل انه قادر في كثير من الحالات ان يلغيها ويدمرها ليسير الطفل في مراحل متقدمة من عمره في مسارات تتسم بالمرضية، كما انها تخلق عنده إحباط روح الاستقلال والتمكن في معرفة العالم الذي حوله".

وتضيف: "الطفل لا يعنيه المغزى او المعنى من الوجود بقدر ما تعنيه تلك العلاقة المادية بينه وبين العالم الخارجي في درجات توازنها مع جسده وحواسه، لان الطفل في حالة ذهنية تتميز بعدم القدرة على إدراك الفارق بين الواقع والخيال، او بين الذات والموضوع، كما انه عاجز عن التمييز بين ذاته والأشياء التي تحيطه، فالمكان والزمن والسبب كلها أمور بعيدة عن فهم الطفل وإدراكه بخاصة في مراحل المبكرة، كما ان التقدير الأخلاقي للسلوك لا يولد مع الطفل، وهو بالتالي لا يستطيع إدراك القيم الأخلاقية المتعارف عليها بيننا كالصدق والأمانة والسرقعة.. الخ فالطفل وهو ينتقل من سن الى سن، لا يستطيع أفراد عائلته إدراك ووعي مراحل الانتقال، يعني إدراك الحاجات الجديدة التي تولد بفعل النمو، وحين يجد عدم تجاوب، يقود نفسه نحو الانعزال وتخمد حالة الإبداع عنده شيئاً فشيئاً".

وتلح ماتيوولي على "اعتبار السنوات المبكرة في حياة أي منا هي الأكثر حرجة، ففيها تبدأ عملية تشكيل المراحل الأساسية للجهاز النفسي، وتتضح عناصر التفكير وتكتسب الشخصية قوامها وانسجامها، والعائلة والمدرسة والبيئة تلعب دوراً كبيراً لا يمكن تعويضه في مراحل لاحقة من حياة الطفل وهو يدخل في علاقة مباشرة لمعرفة العالم".

وعن المشكلات التي تحول دون تقدم الإبداع عند بعض الأطفال، توضح ماتيوولي: "الإبداع كما هو عند الكبار مرتبط بعوامل ومؤثرات كثيرة ومتباينة، فإنه أيضاً مرتبط لدى الصغار بالعوامل نفسها، المشكلة هي موقفنا ككبار مع هموم ورغبات وقدرات وإمكانات الأطفال، فبعضنا يتجاهلها والبعض الآخر لا يفهمها، وآخر يقمعها وهكذا، التعرف على إبداعات الأطفال من قبل الشعوب المختلفة ومن قبل الأباء والأمهات والمدرسة والتلفزيون، يلعب دوراً مصيرياً في تنمية قدرات الطفل الإبداعية على النحو الذي يجعلها نقاط انطلاق لبناء شخصيته القادرة على إبداع الحياة في صورها المتطورة بشكل دائم، ومن اجل تحقيق التفاعل الثقافي والحضاري يتحتم تشجيع وجود خليط من أطفال من بلدان عربية ومن بلدان أمريكا اللاتينية وأفريقيا وبلدان شرق أوروبا، يكون قادراً على جعل مثل هذه التجمعات ميادين رحبة قابلة لأن تكون ركيزة أولى للإبداع الذي هو سمة الحضارات العظيمة، وهذا ما يتحقق في العديد من مدننا المايطيالية من خلال وجود المهاجرين من مختلف الجنسيات والانتماءات الحضارية، اذ أصبح العديد من دور الحضانة والمدارس الابتدائية في العديد من المدن المايطيالية بمثابة ورش إبداعية للمعرفة بكل تنوعاتها التشكيلية والموسيقية والمسرحية، فمن اجل إشاعة الروح الإبداعية يمكن تجاوز العديد من أخطاء التنشئة التربوية المنزلية والمدرسة، فالأغنية السيئة التي يستمع اليها الطفل او المشهد التلفزيوني السيئ يصعب محوهما، وعلينا ان ندرك ان ملكة الخيال عند صغارنا تفوق تصوراتنا وعلينا تغذيتها، فالطفولة اينما كانت لا يمكن لها ان تزدهر وتتطور إبداعياً خارج فضاءاتها التربوية السليمة".

وعن تفسيرها لمقولة "أطفال الأمس المبدعون هم أغبياء اليوم المرشدون" تقول: "المجتمع هو الذي يتحمل المسؤولية التربوية، فضياع المواهب المبدعة تتحملها عملية التربية المتعاقبة التي تجبر الفرد على قبول مفاهيم وتصورات وآراء اجتماعية تقف كمعادل مضاد للإبداع، فالتخلف له آليات قسرية تنبع من خلال التنشئة والتربية والإعلام وسلطة العائلة والمدرسة التي تشترك جميعها كحلقة تخلف بإخماد جذوة الإبداع، ومن المؤكد عدم وجود مستحيل أمام قدرة الإنسان الفاعلة وهذا يتطلب جهداً خارقاً لترسيخ القيم الإبداعية أمام حالة الجهل والتخلف التي تعتبر في كثير من الحالات، مسلمة أساسية في عملية البناء، وحول تأثير وسائل الإعلام والكومبيوتر على الأطفال، تقول: "كل الدراسات تشير الى ان أطفال اليوم وهم يمرون بمراحل نمو ذهني

واجتماعي تتسم بالحرج، يمضون ثلاثة أضعاف الوقت الذي يقرأون فيه او يقرأ لهم خلاله، أمام التلفزيون والفيديو وأجهزة الكمبيوتر. وأعتقد ان وسائل الإعلام الإلكترونية تساعد الى حد بعيد في نضوج الطفل من خلال التأثير على مهاراته وتشذيبها بشرط التيقن والحذر والمراقبة".